الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي كما عرفته

تأليف

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل

اعتنى بإخراجه

عبد الرحمن بن علي العسكر



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

مدار الوطن للنشر - الرياض

هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس: ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب: ٣٣١٠
فرع السويدي: هاتف: ٤٢٦٧١٧٧ - فاكس: ٤٢٦٧٣٧٧
المنطقة الغربية: ٠٥٠٤١٤٢١٩٨
منطقة الرياض: ٠٥٠٢٢٦٩٣١٦
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
المنطقة الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧
التوزيع الخيري: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ - ٢٨٣١٤٥٣
التسويق والمعارض الخارجية: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤

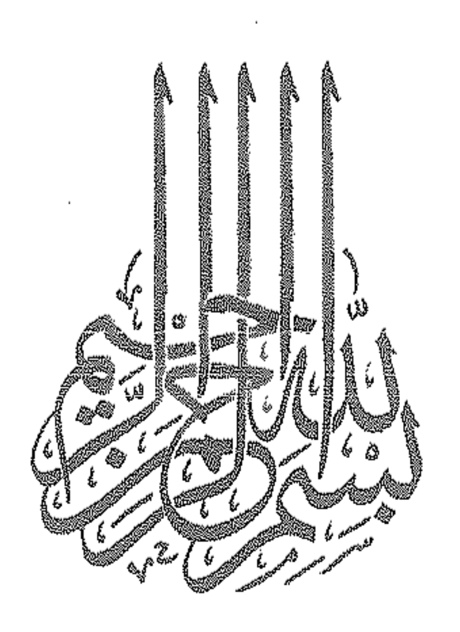
- البريد الإلكتروني: pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الإنترنت: www.madar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل

التاريخ ٢٢/٣/١٤٢٧هـ

الحمد لله وحده ، وبعد : فاليعلم به من يراه بأني قد أذنت لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن علي العسكر بطبع رسالة " الشيخ عبد الرحمن السعدي كما عرفته " وعليه الاعتناء بالتصحيح ، وعلامات الترقيم ، وإخراجها الإخراج اللائق بها وبأمثالها ، وأرجو الله أن ينفع بها ، وكتبه الفقير إلى الله عبد الله بن عبدالعزيز بن عقيل حامداً مصليا مسلما على نبينا محمد وآله وصحبه.


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني بالكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد :

فإن تراجم العلماء لا زالت مَعينًا ومرجعًا لطلبة العلم ينهلون من سيرهم ما يكون لهم مثالا يحتذونه في حياتهم .

وتزداد أهمية ترجمة العَالِـم كلما كان كاتبها أقرب إلى صاحب الترجمة زمانًا أو مكانًا، فكيف إذا كانت الترجمة بيد من أدرك المترجَمَ له زمانًا ومكانًا، فليست ترجمته بحاجة إلى توثيق معلوماتها أو التأكد من أخبارها، بل كاتبها شاهد على صحتها فهو يحكي ما رأى وما شاهد فهو مرجعٌ بنفسه.

ولقد كانت حياة عالم عنيزة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله حياة حافلة بالعطاء والبذل ترتسم فيها صورة العالم الرباني، ولقد كتب عن تلك السيرة كثير وقد يكون بعضهم يستقي من بعض، وقد يعودون في النهاية إلى مصدر واحد، فلا غرو أن نجد كلامًا مكررًا عند أكثر من شخص، ولما كان أعرف الناس بالعالم وأقرب الناس منه تلاميذه فقد أراد شيخنا الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل أن يبر شيخه بترجمة حافلة بمواقف ودروس وما رآه فيه من خلق حسن وتعامل وصبر على شؤون الحياة

وبذل للعلم في كل وقت، وكان أصل هذه السيرة محاضرة ألقاها الشيخ ابن عقيل في أحد جوامع مدينة الرياض[1]، ثم رغب الشيخ في إعادة النظر فيها لتكون كتابا، فوكل إليَّ ذلك فقمت بإعادة النظر فيها ودمج ما ورد في الأسئلة في موضعه المناسب وتقديم ما حقه التقديم وتأخير ما حقه التأخير، والتعليق على ما أشكل؛ لتخرج الترجمة بهذه الصورة .

ثم تجاوب شيخنا لسؤال الحاضرين عن ترجمة حياته بذكر سيرته الشخصية وما تقلده من مناصب، وترجمة العالم لنفسه طريق مسلوك من العلماء السابقين رحمهم الله، وقد قال الشاعر :

إذا رأيت أناسا ترجموا رجلا ... بما رأوا فيه تقديرا وتنويها

فإن نفسي حقي أن أترجمها ... إذ صاحب الدار أدرى بالذي فيها

ثم نظر الشيخ عبد الله بن عقيل بعد ذلك في ترجمته لشيخه وترجمته لنفسه فصحح مواضع كثيرة وزاد مثلها وأكمل ما نقص.

فأسأل الله سبحانه أن يغفر للشيخ عبد الرحمن بن سعدي وأن يمتع في حياة شيخنا الشيخ عبد الله بن عقيل وأن يجزيهما خير الجزاء .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه: عبد الرحمن بن علي العسكر

---

(١) محاضرة ألقيت في جامع الأميرة نورة بنت عبد الله بحي النخيل يوم الخميس الموافق٢١ / ٨ / ١٤٢٤هـ وقد قام الأستاذ مساعد بن عبد الله بن عبد الرحمن السعدي بتفريغها جزاه الله خيرا .

مقدمة المحاضرة[١]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فباسمكم أيها الإخوة نرحب بفضيلة شيخنا العلامة الفقيه الكبير: أبي عبد الرحمن عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقًا وأحد المفتين في هذا العصر.

وشيخنا علم معروف عرف بتلمذته على شيخه وعالم عصره عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وعرف شيخنا بفتاواه وعرف بقضائه وعرف بكثرة تلاميذه.

سيحدثنا فضيلة شيخنا عن شيخ مشايخنا الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي كما عرفه، وقد عاشره سنين طويلة ولازمه عقودًا متطاولة.

وإذ يحدث عن شيخه فإنه يحدث حديث العارف الخبير البصير، وكلنا متشوقون ومتطلعون إلى الحديث عن سماحة العلامة ابن سعدي الفقيه الذي يعمل الناس الآن بفتاواه وينهلون من تفسيره.

---

(١) هذه مقدمة أخينا الشيخ الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر لمحاضرة الشيخ ناسب أن تذكر هنا في أول الكتاب.

وحسبه - رحمه الله - أنه أول عالم نجدي كتب تفسيرًا للقرآن كاملا.

أترك المجال لفضيلة شيخنا ليحدثنا الحديث العذب الذي تشتاقه النفوس والذي نحن متطلعون إليه.

ونشكر لفضيلته بادي الرأي إجابته طلبنا وحضوره إلى هذا المسجد رغم ما عند فضيلته من الأعمال والدروس، فشكر الله له وأثابه ونسأ في أثره وأمتعنا الله به على العافية والتقوى، إنه سبحانه سميع مجيب.

* * *

الشيخ عبد الرحمن بن سعدي كما عرفته

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد :

فأحمد إليكم الله تعالى وأشكر لأخي الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر هذه المناسبة المباركة حيث طلب مني أن ألقي كلمة عن ما أعرفه عن شيخنا العلامة عبدالرحمن السعدي - رحمه الله -، فهذه ليست بأول بركات الشيخ أبي عبد الملك، فقد كان لي صديقًا وصاحبًا وتلميذًا وشيخًا في آن واحد؛ لأنه جزاه الله خيرًا يأتي يقرأ علينا بعض الكتب وأستفيد منه في المجلس الواحد مثلما يستفيد مني جزاه الله خيرًا .

فأما شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله فقد كان لي شرف التلمذة عليه منذ عام ألف وثلاثمائة وتسعة وأربعين هجرية (١٣٤٩هـ)، فقد لازمته قرابة اثنتي عشرة سنة متفرقة.

منها أربع سنين ونصف قبل سفري مع الإخوان إلى جيزان من عام (١٣٤٩هـ) إلى آخر عام (١٣٥٣هـ).

ومنها سنة ونصف بعد رجوعي من جيزان من أول عام (١٣٥٧) إلى عام (١٣٥٨هـ).

ومنها سنة ونصف بعد رجوعي من أبي عريش في الإجازة عام

(١٣٦٤هـ) إلى عام (١٣٦٥هـ) حين سافرت للرياض ثم الخرج وعينت فيها عام (١٣٦٥هـ).

ثم في الرياض عام (١٣٦٦هـ).

ومنها خمس سنين حينما عينت بقضاء عنيزة من ذي القعدة عام (١٣٧٠هـ) إلى رمضان عام (١٣٧٥هـ) حينما نقلت إلى دار الإفتاء.

كنت ملازمًا لحلقاته في كل تلك السنوات، حتى أنني لازمته فترة عملي في قضاء عنيزة بما لا يتعارض مع جلسات المحكمة.

ولقد كان لي شرف مرافقته في الحج عام (١٣٥٧هـ)، وطبقنا في تلك الحجة جميع المناسك الفعلية والقولية كما سبق أن قرأناها عليه في الدرس أكثر من مرة.

ولعل من الأولى أن نذكر شيئًا من سيرته وأخلاقه قبل الإفاضة في ذكر دروسه ومؤلفاته، فنبدأ في ترجمته فنقول:

ولادته ونشأته:

ولد شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في مدينة عنيزة عام (١٣٠٧هـ)، وتوفيت أمه فاطمة بنت عبد الله العثيمين عام (١٣١١هـ)، وعمره أربع سنين، ثم توفي والده عام (١٣١٤هـ) وعمره سبع سنين فنشأ يتيم الأب والأم.

كان أبوه رحمه الله من علماء عنيزة، عمل إمامًا في مسجد المسوكف

عام (١٣١٠هـ) وكان قبل ذلك هو القاري الذي يقرأ الدروس على قاضي عنيزة في ذلك الوقت الشيخ عبد العزيز بن محمد المانع[١] في المسجد الجامع - رحم الله الجميع -.

نشأ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - كما سبق - يتيمًا في بيت أخيه لأبيه حمد الناصر السعدي وزوجته التي قامت عليه خير قيام رحمها الله وجزاها خيرا، وكان له أخ من الأم أكبر منه اسمه: حمد العلي القاضي نزح إلى الهند واشتغل بالتجارة، وحصَّل خيرًا كثيرًا، وكان يتعاهده بشيء من النفقة في أول الأمر.

طلبه للعلم ومشايخه:

ولما تجاوز شيخنا سن التمييز شرع في حفظ القرآن، فأتم حفظه وعمره اثنا عشر عامًا على المقرئ الشيخ سليمان الدامغ.

ثم شرع في طلب العلم وحفظ المتون الصغار، وجدَّ واجتهد حتى حصَّل في شبابه ما لم يحصّله غيره، حتى برز بين أقرانه، فلما رأى زملاؤه تفوقه في العلوم تتلمذوا عليه، فصار متعلِّمًا مُعَلِّمًا في وقت واحد.

مشايخه:

وكان طلبه العلم على علماء بلده عنيزة، فمنهم شيخه العلامة الشيخ صالح بن عثمان القاضي[٢] قاضي عنيزة (١٢٨١-١٣٥١)، الذي طلب العلم

---

(١) ترجم له الشيخ البسام في كتابه «علماء نجد» (٣/ ٥٢٢).

(٢) ترجم له الشيخ البسام في كتابه «علماء نجد» (٢/ ٥١٧).

في الحجاز وفي مصر مدة سبع عشرة سنة، وقد تولى القضاء في عنيزة لمدة سبع وعشرين سنة خلفًا للشيخ إبراهيم بن جاسر[1] من عام (١٣٢٤هـ) إلى وفاته عام (١٣٥١هـ) وقد لازمه ابن سعدي ملازمة تامة حتى توفي.

ومن مشايخه قاضي عنيزة الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر (١٢٤١-١٣٣٨)، الذي طلب العلم في الشام والعراق وأقام بها بضع سنين، ودرس عليه شيخنا مدة قضائه في عنيزة من (عام ١٣١٨هـ) إلى (عام ١٣٢٤هـ).

ومن مشايخه أيضا شيخنا المعمر الشيخ المحدث علي بن ناصر أبو وادي[2] (١٢٧٣ـ ١٣٦١هـ)، الذي رحل إلى الهند لطلب العلم، وأخذ عن شيخ مشايخ الهند العلامة نذير حسين وأجاز شيخنا ابن سعدي بمروياته، كما تحصلنا نحن على إجازة منه في الصحيحين والسنن والمسند والمشكاة وغيرها، كما أخذ الشيخ أبو وادي عن العلامة صديق حسن خان القنوجي العالم المشهور رحمهم الله جميعا .

ومن مشايخه الشيخ محمد أمين الشنقيطي (١٢٨٩ـ ١٣٥١هـ) الذي طوف البلاد الإسلامية وجاهد الإنكليز في البصرة، أخذ شيخنا العلم عنه حين قدومه إلى عنيزة وقد أقام بها أربع سنين .

---

(١) ترجم له الشيخ البسام في كتابه «علماء نجد» (١/ ٢٧٧).

(٢) ترجم له الشيخ ابن بسام في كتابه «علماء نجد» (٥/ ٣٠٥).

ومن مشايخه أيضا الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل[١]، والشيخ عبد الله ابن عايض[٢]، والشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع[٣]، والشيخ إبراهيم بن صالح ابن عيسى[٤]، وغيرهم - رحمهم الله جميعا-.

درس على هؤلاء العلماء واستفاد كثيرًا مع ما أعطيه من الفهم والدأب على طلب العلم والعكوف على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فاستفاد من ذلك وفتح الله له هذا الفتح العظيم الذي يشاهده من يقرأ في كتبه ومؤلفاته .

وكان على صلة وثيقة في القضايا الإسلامية يلتقط أخبارها، ويكاتب علماءها، ويشير في خطبه يوم الجمعة إلى كثير من شؤونها.

وكان له صلة بمجلة المنار التي يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا[٥] (١٢٨٢ـ ١٣٥٤هـ) في القاهرة، ومجلة الفتح القاهرية التي يصدرها الشيخ محب الدين الخطيب[٦] (١٣٠٣ـ ١٣٨٩هـ) فكانتا نافذتين له يطلع منهما على أحوال العالم الإسلامي ويتأثر بما يستفيده منهما.

---

(١) ترجم له الشيخ ابن بسام في كتابه «علماء نجد» (٦/ ١٢١).

(٢) ترجم له الشيخ ابن بسام في كتابه «علماء نجد» (٤/ ١٨٤).

(٣) ترجم له الشيخ ابن بسام في كتابه «علماء نجد» (٦/ ١٠٠).

(٤) ترجم له الشيخ ابن بسام في كتابه «علماء نجد» (١/ ٣١٨).

(٥) انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٢٦).

(٦) انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٥/ ٢٨٢).

وقد كان يكاتب الشيخ محمد رشيد رضا فيما يستشكله، فقد كتب رسالة إلى الشيخ محمد رشيد رضا لما ظهر تفسير طنطاوي جوهري[1] في عدة مجلدات، وأدخل في ذلك التفسير أشياء غريبة لا علاقة لها بالتفسير، وأتى بأشياء مخالفة لما عليه جمهور المفسرين، استنكر ذلك شيخنا وكتب بذلك إلى محمد رشيد رضا يقول فيه: تفسير طنطاوي خرج بهذه الصفة ونريد منك أن تكتب في مجلة المنار عنه لتحذير الناس من تلك الأخطاء.

لكن الشيخ محمد رشيد رضا لم يتجاوب مع شيخنا بل كتب له جواب كتابه بأننا اطلعنا على كتابك وفهمنا ما ذكرته عن الرجل طنطاوي جوهري وتفسيره، وقد اطلعت على الكتاب ورأيت أشياء فيه، والمؤلف رجل من أصحابنا ....الخ .

أخلاقه :

وصف زميلنا الشيخ عبد الله البسام[2] أخلاق الشيخ عبد الرحمن فقال: له أخلاق أرق من النسيم وأعذب من السلسبيل، لا يعاتب على الهفوة ولا يؤاخذ بالجفوة، يتودد ويتحبب إلى البعيد والقريب، يقابل بالبشاشة ويحيي بالطلاقة، ويعاشر بالحسنى ويجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس

---

(١) توفي سنة ١٣٥٥هـ، وانظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٣٠).

(٢) أحد تلامذة الشيخ ابن سعدي، له مؤلفات نفع الله بها، وقد ترجم له ابنه في مقدمة كتابه: «علماء نجد من خلال ثمانية قرون».

والود، ويعطف على الفقير والصغير، ويبذل طاقاته ووسعه بالخير، ويساعد بماله وجاهه، وينشر علمه ونصحه، ويدلي برأيه ومشورته بلسان صدق، وقلب خالص وسر مكتوم، يفتيهم في ما يشكل عليهم ويكتب لهم وصاياهم ووكالاتهم ويعقد أنكحتهم تبرعا لله لا يبتغي على ذلك أجرا إلا من الله.

ومهما أردت أن أعدد فضائله ومحاسنه التي يتحلى بها فإني مقصر وقلمي عاجز، ولا يدرك هذا إلا من عاشره وجالسه، هذا مع زهده وورعه وقلة ما في يده[١].

وكان - رحمه الله - سمح الأخلاق لين العريكة مع كل أحد، يخاطب كل إنسان وكل فئة وجماعة بما يليق بهم، إن كان مع طلبة علم فذلك، وإن كان مع أهل تجارة بحث معهم فيما يصلح شؤونهم ويحذرهم من الأشياء التي تنتقد على التجارة من الغش والبخس والكذب والتدليس وكثرة الأيمان ونحو ذلك، حتى إنه ربما وعظ النساء بذكر ما ينبغي لهن بكل سهولة وبخطاب عذب سهل يفهمه كل من سمعه.

ومع ذلك فقد كان يمزح مع بعض أصحابه إذا صار للمزاح مناسبة، ولكنه لا يكثر من ذلك.

فمما يذكر من مزاحه أنه كان يجيب دعوة من يدعوه للقهوة ونحوها بعد

---

(١) انتهى النقل عن الشيخ البسام بزيادة يسيرة.

صلاة العشاء، أو بعد صلاة الظهر فجاء أحد الإخوان وطلب منه موعدًا للقهوة.

فقال الشيخ: والله هذه السنة مواعدين فيها كلها لكن كان تبي[1] من السنة المقبلة فلا بأس، فتعجب الرجل وقال: سبحان الله، سنة كاملة مواعدين فيها !!

فتبسم الشيخ وكان الوقت إذ ذاك لم يتبق من شهر ذي الحجة إلا ثلاثة أيام، فمعناه صحيح أن هذه السنة سبق أن واعد فيها كلها.

وكان مرة يلقي درسًا على تلاميذه الصغار في باب الأضحية وذكر أن الهتماء لا تجزي وهي ما سقطت ثناياها من أصلها، فسألهم عن الشاة إذا لم يكن لها أسنان من فوق هل تجزئ أم لا ؟

فتحيروا في الجواب، فأخبرهم أن الشاة ليس لها أسنان من فوق وذلك خلقة، بل أسنانها خاصة بالحنك الأسفل وهذه خلقتها التي خلقها الله عليها .

وكان له جار رجل كبير في السن أعرفه يقال له الغديفي عمره حول السبعين سنة، تزوج امرأة كهلة، فقابله الشيخ يهنئه بالزواج فقال: يا شيخ يا شيخ شف يدي عضتها عضتها، فقال الشيخ مازحًا: احمد ربك هذه نعمة ما دام عندها سنون تعض فيها فهذه معناها أنها شابة .

---

(١) يعني: إن كنت تريد موعدًا من السنة القادمة.

ومن هذه المسائل ونحوها مما فيه ترويح للنفس من دون إكثار، أنه أهدى له مرة أحد أقاربه صحفة عشاء، وكان من العادة أن مثل هذه الهدية تهدى قبل أذان العصر حينما كان عشاء الناس بعد العصر، فلما صلى العصر وجلس للطلبة وانتهى الدرس قال لهم: عندنا لَبِن (جمع لَبِنة) نريد نقله من محل إلى محل، فالذي ما عنده شغل ويحب يساعدنا جزاه الله خيرًا.

فجاء الإخوان منهم من تقدم ومن تأخر ومنهم من جاء مستعدًا لنقل اللبن، فلما دخلوا قدم لهم العشاء، فقالوا: أين اللبن يا شيخ، فقال: عدلنا عنه .

وكما ذكرنا أنه كان يمزح أحيانا فقد كان يمزح معه الآخرون أحيانا، فمن ذلك أنه سئل في مجلس جامع عن حكم رؤية الخاطب مخطوبته قبل عقد النكاح فأجاب بجوازه وأن النبي ﷺ قد أرشد إليه[1]، وكان هناك رجل أعمى فقال الأعمى: ونحن العميان هل يجوز لنا أن نتلمس ما دمنا لا نتمكن من الرؤية، فضحك الشيخ والحاضرون .

وكان رحمه الله يتقلل من الأكل جدا حتى إذا جلس على المائدة لا تحس أن ما حوله نقص منه شيء، فقد عوّد نفسه على قلة الأكل باستمرار صيفًا وشتاءً في سفره وإقامته، ونفعه ذلك كثيرًا، فلهذا صار خفيف البدن فهو ربعة من الرجال، ليس بطويل ولا قصير، وكان لونه أبيض وشعره أبيض، فقد

---

(١) ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي (٣/ ٣٩٧) من أن النبي ﷺ أمر المغيرة بن شعبة أن ينظر إلى مخطوبته فإنه أحرى أن يؤدم بينهما.

شاب شعره مبكرًا .

وكان رحمه الله يقلل من استعمال الماء عند الوضوء اقتداء بالنبي ﷺ حيث إنه يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع، وكان له صديق له أم كثيرة الوسوسة في الوضوء، وتكثر صب الماء، فشكى إليه صديقه حالة أمه، فنصحها الشيخ وكرر عليها، وقال: حَضِّرْها عندي إذا توضأت لتشاهدني من خلف الباب، فلما رأت وضوءه قالت: هذا وضوء شيخ، يا أسفا على صلاتنا خلفه كل هذه المدة .

وذكر شاهد عيان أنه في يوم شات غزير المطر شاهد شيخنا شخصا كبيرًا في السن في مسجد الجامع ينتفض من شدة البرد وعليه خَلَق بالٍ، فلما رآه شيخنا بهذه الصفة لاذ خلف العمود لئلا يشاهده أحد، ثم خلع أحد ثوبيه ثم لفه وأعطاه ذلك الشخص، فلبسه واتقى به من البرد ودعا له .

ومرة أخرى كانت الشوارع مملوءة من الأمطار والطين، وكان أحد الجماعة المعروفين يمشي أمامه دون أن يشعر به فزلق الرجل ووقع على الأرض وتوسخت ثيابه، فلما رأى شيخنا حالته انصرف مع طريق آخر لئلا يعلم الرجل أن الشيخ قد رآه على هذه الحالة فيخجل، وكم لشيخنا من مواقف مشابهة .

وكان رحمه الله كثير السفر للحج يحج كثيرًا ويألفه الناس ويحبون أن يحجوا معه ليقتدوا به ويعلمهم أحكام المناسك وآداب السفر وغير ذلك .

ولقد حرص - رحمه الله - على أن يعامل الناس معاملة لطيفة حسنة بل

كان ذلك من دأبه حتى أنه كان يعلم طلابه كيف ينبغي أن يعاملوا من أخطأ عليهم، يقول في أحد كتبه: كتب أحد المشايخ إلى بعضهم كتابًا يقول فيه: وبعد فأنت عملت كذا وكذا وغلطت في كذا، وأشهد الله على بغضك وأنك فاعل كذا وكذا، تهجم عليه تهجمًا عظيمًا، يقول: لما رأى المكتوبُ إليه الكتابَ كتب جوابه: إلى فلان بن فلان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فقد وصلني كتابك وأول شيء أخبرك بأني لم أتأثر مما ذكرت لأني أعلم أن قصدك حسن وأنك جزاك الله خيرًا وما حملك على هذا إلا الغيرة، فأنت بهذا معذور، ولكن ما ينبغي يا أخي للإنسان أن يظهر لأخيه العداوة والبغضاء على شيء ما تحققه فأنت ما شافهتني بهذا الكلام الذي قلته، هل سبق أن شافهتني به، هل اعترضت علي فيه، هل نبهتني حتى نتناقش أنا وإياك، فإما أن أرجع إلى كلامك أو ترجع إلى كلامي، أو مجرد ما يبلغك من كلام العوام تتقدم بهذا التهجم، هذا ما ينبغي لك أما أنا فما تأثرت به ولا ضرني، وذكر أشياء من هذا النوع كثيرة - رحمه الله - .

ثم عاد وأجابه عن مسألته فقال: ينبغي أن يكون الجواب بهذه الكيفية أن الإنسان إذا ورد عليه مثل هذا فلا ينفعل ولا يتأثر ولا ينزعج بل يجيب بأحسن أسلوب يجده، ولذلك لما وصل الكتاب لذلك الشخص خجل وندم وجاء واعتذر وطلب السماح منه.

وهذا كله مصداق قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ

ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ لكن هذه الطريقة ليست بسهلة كما قال تعالى ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

وهذا المعنى ذكره الله سبحانه في ثلاثة مواضع من كتابه الكريم:

في سورة الأعراف قال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

وفي سورة المؤمنون قال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾.

وفي سورة حم السجدة قال ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾.

يقول ابن القيم: هذه الآية علمتنا كيف نتعامل مع أعدائنا، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ لم يقل بالحسن، فإذا كان هناك حسن وأحسن منه وأحسن منهما فانظر أحسن ما تجد فادفع به، فإذا فعلت ذاك ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾ رجعت العداوة وصار ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ أي صديق، لكن ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

أما العدو من الجن فلا تستطيع أن تعامله بشيء من ذلك ليس لك إلا شيء واحد وهو الالتجاء إلى الله في رد كيده وهو قول الله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ

مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١].

وكما قال بعضهم:

فما هو إلا الاستعاذة ضارعًا أو الدفع بالحسنى هما خير مطلوب

فهذا دواء الداء من شر ما يرى وذاك دواء الداء من شر محجوب

وقد نُسب إلى شيخنا أنه كان يلبس العقال وأنا لا أعرف أنه يلبس العقال، وإنما بعض تلامذته يلبس العقال، وقد أناب مرة أحد الطلاب يصلي عنه الجمعة فصعد المنبر وعليه العقال، فاستنكر الناس ذلك كيف أن خطيبًا يخطب وعليه عقال، مع أنه لا حرج في لبس العقال، فقد ألف الشيخ سليمان ابن سحمان - رحمه الله - كتابًا طبع على نفقة الملك عبد العزيز ووزع على طلبة العلم، وتكرر طبعه ذكر فيه فوائد العمامة والعقال، ورد على بعض الإخوان الذين استنكروا العقال وقالوا إن العمامة هي السنة والعقال بدعة.

زهده وعبادته:

كان شيخنا ابن سعدي زاهدًا في الدنيا، بل لم تكن الدنيا تساوي عنده شيئًا.

فمما يذكر من زهده أنه لما كلف من قبل رئاسة المعاهد العلمية بالإشراف على المعهد العلمي بعنيزة عام (١٣٧٣هـ) براتب شهري قدره ألف ريال، وهو

---

(١) انظر كلام ابن القيم بتصرف في كتابه «زاد المعاد» (٣/ ١٦١).

مبلغ ضخم في ذلك الوقت، فأجابهم - رحمه الله - بأنه مستعد للإشراف على المعهد حسبة لوجه الله بدون راتب ولا مكافأة، فقبلت الرئاسة ذلك شاكرة له هذا الصنيع، فقام بما أوكل إليه خير قيام واستفاد المعهد وأهله من توجيهاته .

ومن ذلك أن مسجد الجامع في عنيزة الذي كان إمامًا له كان عليه أوقاف كثيرة عبارة عن بيوت تؤجر ودكاكين تؤجر ونخيل موصى بثمرته لإمام الجامع، فلما تولى الشيخ إمامة الجامع وجاءت الثمرة واستأذنوه فيها قال: لا تدخلوها بيتي، ضعوها عند فلان يوزعها على المحتاجين من الطلبة، فلم يكن يأخذ منها شيئًا، مع أنه ليس غنيًا فقد كان ينفق عليه كما أسلفت أخوه حمد الناصر السعدي وأخوه من أمه حمد العلي القاضي المقيم في الهند، ثم بعد ذلك كبر أولاده فبارك الله له فيهم، أما شيخنا فلم يكن عنده شيء من المال .

واجتمعنا معه مرة في إحدى الليالي، فطُلب منه أن يختم المجلس فطلب كتاب مقامات الحريري، وفي آخره المقامة الخمسون وفيها قصيدة بليغة ذكر فيها توبته وفيها وعظ يرقق القلوب، وكان شيخنا يحبها ويقرؤها وتقرأ عليه، فطلب مني قراءتها، فقرأتها عليه وعلى الحاضرين، ثم جرى ذكر الشعر والقصائد والمدائح والمراثي والهجاء ونحو ذلك، فقال: كنت أقرأ في ديوان المتنبي، وهو ديوان فيه مدح وفيه هجاء وفيه حكم وفيه أشياء كثيرة، ولما قرأت قصيدة فيها هجاء شديد رأيت في المنام كأني أنبش قبرًا، فتقززت نفسي وعرفت أن هذا من جراء هذه القصيدة، فعزفت نفسي عن قراءة الأشعار التي فيها هجاء .

إمامته لجامع عنيزة:

وكان هو إمامنا في الجمع والجماعات وفي صلاة التراويح وقيام التهجد في العشر الأواخر من رمضان، وكان حسن الصوت سلس القراءة، من سمعه يقرأ القرآن لم يمل قراءته، ويختم القرآن في رمضان ختمتين، في التراويح ختمة، وفي قيام التهجد ختمة أخرى.

ومرة شرع في قيام التهجد أول ليلة من ليالي العشر فابتدأ بالبقرة ولم يركع حتى كمل الجزء الأول وشرع في الجزء الثاني في ركعة واحدة.

وكانت خطبه في الجمع والأعياد والاستسقاء تعالج مشاكل الوقت، بينما كان الناس فيما سبق يخطبون بخطب ألفت في ماضي الزمان وطبعت طبعات قديمة أكل عليها الدهر وشرب، ويقرؤنها على علاتها، حتى إن أحدهم لما صعد المنبر ليخطب خطبة العيد وأخذ الكتاب فوجد أولها قول المؤلف: الله أكبر تسعًا نسقًا، فقرأها كما وجدها: الله أكبر تسعًا نسقًا ولم يعلم المقصود من قوله: تسعًا نسقًا.

وكان من عادة الشيخ أنه إذا صلى الفجر وانتهى من الأذكار والأوراد والأدعية الواردة خرج إلى صديقه الشيخ يوسف بن عبد العزيز الشبل[1] وكان الشيخ يوسف رجلًا صالحًا عابدًا طالب علمٍ، وهو والد الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل مدير جامعة الإمام محمد بن سعود سابقًا، كان الشيخ يأتيه بعد صلاة الفجر يقرآن حزبًا من القرآن وفصلًا من كتاب فقه أو غيره، فإذا كان

---

(١) توفي سنة (١٣٧٥هـ) ترجم له ابن بسام في علماء نجد (٦/ ٥٠٢).

عند طلوع الشمس خرج إلى بيته لمدة نصف ساعة تقريبًا، ثم يذهب إلى المسجد الجامع من أجل إلقاء الدروس.

مبادراته:

ومما يُذكر من مبادرات الشيخ - رحمه الله - أنه هو أول من بادر إلى تركيب مكبر الصوت (المكرفون) لما ورد إلى عنيزة فقام بتركيبه في الجامع وخطب فيه على المنبر يوم الجمعة، مع أن بعض المشايخ استنكر ذلك، ورأى أنه من البدع ومنع دخوله المساجد بحجة أنه لم يكن على وقت النبي ﷺ ولا صحابته رضوان الله عليهم، وأما شيخنا فأفتى بجوازه بل باستحبابه لما رأى فيه من النفع العظيم من إيصال صوت العلم والخطبة إلى أناس لم يكونوا يسمعون ذلك قبل هذا الجهاز.

وقد خطب الشيخ يوم الجمعة خطبة كان لها وقع في البلد ذكر فيها محاسن هذه الآلة وفوائدها وأنها تبلغ الخطب والمواعظ والدروس للبعيد والقريب[1].

مكتبته:

وكانت مكتبته - رحمه الله - مباحة للطلاب كل وقت، وبعض كتبه قد نقلها إلى الجامع حيث محل التدريس لينتفع بها الجميع، وكان يقول: لا تمنعوا أحدًا يستعير أي كتاب ولو فرضنا أن لا يصونه لأن الأجر والفائدة التي تحصل بذلك أعظم من ثمن الكتاب.

---

(١) في كتاب الشيخ ابن سعدي (الخطب المنبرية على المناسبات) خطبة بعنوان: (خطبة حين وضع مكتبة الصوتي واستنكره بعض الناس)، فلعلها هي التي يقصدها الشيخ هنا.

عزوفه عن القضاء:

عُرض على شيخنا - رحمه الله - القضاء ورفض ذلك بطرق غير مباشرة، وفي سنة (١٣٦١هـ) سمع بأن الملك عبد العزيز - رحمه الله - سوف يقدم إلى القصيم، وكان القاضي إذ ذاك في عنيزة شيخنا الشيخ عبد الله بن محمد بن مانع - رحمه الله - (١٢٨٤هـ - ١٣٦٠هـ)[1]، وكان قد ظهرت عليه علامات الشيخوخة والضعف، وكانوا يهمسون بتعيين شيخنا ابن سعدي بدله في قضاء عنيزة، فلما سمع بقدوم الملك انسل خفية ولم يعلم عنه أحدٌ، وسافر إلى مكة لأخذ عمرة خشية أن يلزم بذلك من الملك ويحصل رد فعل إذا رفض، مع أنه مصمم على عدم قبول القضاء.

وكان هناك رجل يسمى حمد الجبهان يتولى توزيع الرسائل التي تأتي للناس، لأنه لا يوجد بريد في ذلك الوقت، وكان هذا الرجل أيضا دلّالًا لسيارات الأجرة، فلما علم بسفر الشيخ عبد الرحمن عتب عليه وكان صديقًا له، وجاء إلى والدي - رحمه الله - وقال له: الأمر كذا وكذا وأريد أن تكتب لي أبياتًا على لساني تعاتب فيها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي كيف سافر وأنا لا أعلم مع أنه لا يسافر أحدٌ إلا بمعرفتي، وأنا واسطة الدلّالين، فكتب له والدي خمسة أبيات أو ستةً مرتجلا، يعتب فيها على الشيخ عبد الرحمن.

---

(١) انظر ترجمته في «علماء نجد» (٤/ ٤٨٢).

موقفه من ولاة الأمر ومن الملك عبد العزيز:

كان رحمه الله يعظم طاعة ولاة الأمر ولا يسمح لأحد أن يتكلم فيهم، ويظهر حبه للملك عبد العزيز رحمه الله، ويثني عليه في كل مناسبة، ويذكر محاسنه وتحكيمه الشريعة وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

ولما توفي الملك عبد العزيز وجاءتني البرقية بوفاته بصفتي قاضيا لعنيزة أبلغت شيخنا عبد الرحمن بذلك لأنه هو إمام الجامع فترحم عليه ودعى له واهتم بالأمر جدا، وأمرني أن أبلغ الناس أن يجتمعوا غدا الضحى في مصلى العيد، ثم عدل وقال: اجمعوهم في مسجد الجامع، وكأنه أخذه من قصة وفاة النجاشي ملك الحبشة حينما نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه يوم موته، وقال: استغفروا لأخيكم، ثم خرج بالناس إلى المصلى فصفوا وراءه، وصلى عليه صلاة الجنازة وكبر أربع تكبيرات أخرجاه في الصحيحين، القصد أن الناس اجتمعوا كلهم في مسجد الجامع للصلاة عليه، واجتمع الناس كلهم لم يتخلف منهم أحد، وأمنا شيخنا لصلاة الجنازة، وذلك يوم الثلاثاء الموافق: ٣/ ٣/ ١٣٧٣هـ، ثم صعد المنبر وخطب خطبة بليغة ذكر فيها من آثار الملك عبد العزيز ومكارم أخلاقه وسياسته الداخلية والخارجية وحرصه على تحكيم الشريعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر الإصلاحات التي تمت في عهده، وانتشار الأمن في ربوع المملكة.

والخطبة أبلغ مما ذكرته وسأسوق نصها هنا، حيث إنها لم تذكر من قبل لأنني أخذت الخطبة بعد انتهاء الشيخ منها واحتفظت بها لدي، وسيجد القارئ صورتها بخطه في آخر الكتاب.

خطبة ابن سعدي عن الملك عبد العزيز:

قال رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وأصلي وأسلم على نبيه المصطفى، الحمد لله الباقي، وكل من عليها فان، الحمد لله حمدا كثيرا على كل حال، الحمد لله على قضائه وقدره، خيره وشره، وحلوه ومره، سبحان من هو كل يوم في شأن، سبحان من يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ سبحان من جعل هذه الدار دار سعي وجد، وصفاء وإكدار، ولم يجعلها دار بقاء ولا موضع استقرار، جعلها دار ممر ولم يجعلها دار مستقر، فيا سعادة من عرف حقيقتها فزرع فيها الخير والأعمال الصالحة، ويا خسارة من آثر دنياه على أخراه واتبع هواه وكان أمره فرطا، سبحان من جعل الموت غاية كل مخلوق، ونهاية كل عبد ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ لو نجى من الموت ناج لعزته أو سلم منه سالم لشرفه لكان أولى الناس بذلك وأحقهم به رسول رب العالمين، ولخلد فيها الصفوة من الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾، والله تعالى يبتلي عباده

بالمصائب ليبلوهم أيهم أحسن عملا، وأيهم أجمل صبرا، وأيهم أعظم رضا بقضاء الله وقدره والتسليم لأمره، بشر الله الصابرين على المصائب بالصلاة والرحمة والهدى، ووعدهم أن يوفيهم أجرهم بغير عد ولا إحصاء، وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول ما أمر الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اجبرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها»[1].

هذا جلالة الملك المعظم قد اختار الله له ما عنده وانتقل إلى رحمة الله التي وسعت كل شيء، سبيله سبيل جميع العالمين، وطريقه طريق الخلق أجمعين، ذهب شخصه الكريم وما ذهبت أوصافه الجميلة وأفعاله، ومضى بنفسه وبقيت مشاريعه الطيبة وأعماله، قد علم القريب والبعيد ما وفقه الله له في حياته من الأعمال الصالحة والمآثر الجليلة والآثار الخالدة، وقد عرفوا ما له من النفع العميم وما جرى على يديه من الخير الجسيم، كانت حياته زاهرة بالبركات، وأيامه مثمرة للمنافع والخيرات، وكان له الحنو على الرعايا والمستضعفين، وكانت له الأيادي والشفقة على جميع المسلمين، عاش ولله الحمد حميدا، وانتقل بحول الله إلى ربه سعيدا، له علينا وعليكم من الحق أن ندعو له بقلوب حاضرة وأفئدة صادقة ونيات مخلصة خالصة، فنسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يتغمده برحمته ورضوانه ويسكنه فسيح

---

(١) رواه مسلم وأبوداود والنسائي والترمذي.

جناته، وأن يتجاوز عن سيئاته، ويرفع له مع أئمة الهدى درجاته، وجعل ضيافته عند قدومه عليه العفو والغفران والرحمة والكرم والرضوان، وأحسن الله لجميع المسلمين فيه العزى وجبر الله مصيبتهم فيه بالتوفيق والهدى، وعوضهم عنه بصلاح أنجاله، والتوفيق والتسديد لذريته وآله، وأقام الله بهم الدنيا والدين، وأسبغ بهم الخير على المسلمين، ونشر بهم العدل على العالمين، وييسرهم لليسرى وجنبهم العسرى، وألف بين قلوبهم وجعلهم مستمسكين بالعروة الوثقى لا سيما الملك المعظم وولي عهده والخليفة من بعده، حفظه الله وحرسه وحماه وأعانه على مهماته العظيمة، وسدد خطاه وجعله مباركا موفقا لما يحبه ويرضاه، وأصلح الله به أحوال المسلمين وألف بين قلوبهم وجمع به شملهم، ولطف الله بهم آخرا كما لطف بهم أولا، وأتم عليهم النعم ودفع عنهم المكاره والنقم، إنه جواد كريم رؤوف رحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

يوم الثلاثاء صباحا الساعة الثالثة: ٣/ ٣/ ١٣٧٣هـ .

إلى هنا انتهى نص الخطبة التي ألقاها رحمه الله ذلك اليوم والتي كان لها وقع في قلوب أهل عنيزة وكان لها تأثير عظيم، فرحمه الله وعفا عنه .

جلساته للطلاب :

كان له – رحمه الله – عدة جلسات يجلس فيها للطلاب في اليوم والليلة

في جامع عنيزة :

* الجلسة الأولى: في الصباح بعد طلوع الشمس بساعة مقررة بعد رجوعه من عند صاحبه الشبل، سواء في ذلك أيام الصيف أو أيام الشتاء، ويحضر هذه الجلسة طلابٌ كثيرون، تارة يقلون وتارة يكثرون، من عشرين إلى ثلاثين إلى أربعين إلى أكثر من ذلك، يقرأون عليه فيها كتابين أو ثلاثة، كتاب في الفقه وكتاب في العقيدة وكتاب في أصول الفقه أو غير ذلك .

* الجلسة الثانية: بعد صلاة الظهر وقبل صلاة العصر .

* الجلسة الثالثة: بعد صلاة العصر .

* الجلسة الرابعة: بعد المغرب حين يدخل المسجد قبل أذان المغرب فما يخرج منه إلا بعد صلاة العشاء، يُقرأ عليه أولًا درس في التفسير ثم درس على الجماعة في تفسير ابن كثير أو في التبصرة أو في غيرهما، ثم تقام الصلاة فيصلي بالناس وبعد صلاة العشاء هناك جلسة خفيفة.

هذه سيرته في الدروس أغلب الأيام، فهو مرتبط بالمسجد في غالب أوقاته أخذ على هذا مدة طويلة، فهو رجل قلبه معلق بالمساجد .

طريقة تدريسه :

وكانت عادة شيخنا في التدريس خلاف ما كان عليه المشايخ قبله، كان المشايخ إذ ذاك إذا أراد طالب العلم أن يقرأ بأي كتاب استأذن من الشيخ،

وجلس إليه، وقرأ عليه فصلًا من الكتاب يبتدئ بقوله للقارئ: سم ـ يعني قل بسم الله، وابدأ القراءة ـ وينتهي إذا قال له شيخه: بركة، ـ يعني ما مضى من القراءة فيه بركة وكفاية ـ، وربما علق الشيخ على قراءته بكلمة أو كلمتين أو نحو ذلك.

فلما كثر الطلاب على شيخنا رأى أن هذه الطريقة لا تكفي والوقت لا يتسع بأن ينفرد كل طالب بكتاب مستقل، فاقترح عليهم أن يجتمعوا على كتاب واحد إما في الفقه أو في النحو أو في العقيدة أو في الحديث ويكلفهم بحفظ المتن.

وكان – رحمه الله – يكلفنا بحفظ المتن الذي سيشرحه، ففي التفسير نحفظ المقطع الذي سيشرحه من كتاب الله تعالى، وفي الحديث بلوغ المرام وفي الفقه زاد المستقنع وفي النحو الألفية أو القطر أو الملحة ونحو ذلك.

ونتحلق حوله حلقة واحدة على الأرض، بعضهم يكون بأيمن الحلقة وبعضهم يكون بشمالها، فالذي يجب أن يقرأ المتن حفظا يكون في يمين الحلقة، والذي لم يحفظ يكون في يسار الحلقة، لا يُسأل ولا يقرأ وإنما يكون مستمعًا فقط .

كنا نتحلق قبل حضوره، فإذا حضر جلس وسلم ثم تبسم في وجوه الحاضرين، وجلس هنيهة، فإذا كان أحد عنده أمر مستعجل أو سؤال مستعجل أو خبر مهم أو شيء من ذلك ذكره له.

ثم يقول للذي على يمين الحلقة: (سم) فيقرأ الدرس المطلوب، ثلاثة أحاديث مثلا، وإذا كان في الفقه قرأ فصلا، ثم إذا انتهى الأول أعادها الطالب الثاني حفظًا ثم يعيدها الثالث حفظًا، يكتفي بثلاثة فقط.

ثم يشرع في شرح هذا الدرس، يفسر كلام المؤلف منطوقًا ومفهومًا سواء كان ذلك مفهوم موافقة أو مفهوم مخالفة، وهل عليه إيراد، ثم إذا كانت المسألة خلافية ذكر القولين، ثم ذكر أدلة كل قول، فإذا أراد أن يرجح أورد ما على القول من إيرادات ثم أورد ما يقوي القول الثاني، وصرح بأنه هو الصحيح.

ثم ينصت إلى الأسئلة الواردة في ذلك، فإذا كان هناك إشكالات أوردها الطلاب أوضحها الشيخ لهم، لكنه كان ينصحنا بأن لا نستعجل في الأسئلة حتى يتم البحث في المسألة التي يبحث فيها، يقول: ربما أن الطالب يسأل عن مسألة سوف تأتي في البحث قبل أن يستكمل فيقول: لا تستعجل في السؤال حتى ينتهي الكلام على المسألة، فإذا انتهى ورأيت أن البحث انتقل إلى مسألة أخرى فهات السؤال الذي عندك، وأما التسرع فإنه يقطع على الإنسان ما هيأه من كلام، ويصير من استعجال الشيء قبل أوانه .

فإذا انتهى الدرس سأل الطلاب عما فهموه من هذا الدرس خصوصا المسائل المهمة، ويطلب منهم إعادته من حفظهم، ويربط بين درس اليوم والدروس السابقة، وتارة يكلفهم بالمناوبة بإعادة الدرس.

وكنا مع مجموعة من الطلبة قد اتخذنا لنا غرفة في الجامع الذي فيه دروس الشيخ وأثثناها وجعلنا فيها جميع لوازم القهوة والشاي، وكنا نجتمع فيها بعد العشاء، ونحضر الكتب التي سنقرؤها على الشيخ غدًا، فنحضر المتن والشرح والحاشية وما يتعلق بذلك، ونتدارسها ونتأملها، حتى إذا حضرنا الدرس في الصباح نكون مستعدين للدرس، ونحاول أن نلقي على الشيخ سؤالًا فيه شيء من التعجيز أو الإشكال، فإذا جئنا إلى الدرس جاء الشيخ - رحمه الله - بشرح واضح واستخرج لنا أشياء ومسائل ما كنا نتوقعها ونحن طلبة، مع أننا قرأنا المتن والشرح والحاشية، ومع ذلك فهو يستنبط ويستخرج فوائد ما كنا نظنها، فإذا أوردنا عليه ما كنا جمعناه مما نظن أن فيه شيئًا من التعجيز كان يجيبه بسهولة ويسر بغير تبرم أو تأثر.

وكان إذا شرح بعض المسائل أو أعرب بعض الجمل يُغلِّط نفسه أحيانا، فيرفع المنصوب، أو يخفض المرفوع عمدًا ليختبر الطلاب، ويعرف من يفطن منهم لهذه الغلطة ممن تمر عليه دون أن يفطن لها، فإذا سئل عنها تبسم ورجع إلى الصواب.

ومن أحسن ما انتهجه الشيخ مع تلاميذه أنه كان يعودهم على البحث في مسائل الخلاف ومعرفة الصواب وأوجه تصويبه وبيان المرجحات على ذلك دليلًا وتعليلًا، فيحصلون بذلك على جودة التعبير واستخراج الأدلة من النصوص الشرعية، وكان يعلمهم أسلوب النقاش وقد ذكر ذلك في بعض مؤلفاته بقوله: قال المستعين بالله، قال الواثق بالله.

حفظه لوقته:

ومن ناحية أخرى فقد كان الشيخ - رحمه الله - يحرص على الاستفادة من جميع وقته، وكان يعود طلابه على ذلك فكان إذا دعي إلى مجلس قهوة ونحوها واجتمع الناس وحصل لغط وكثر الكلام، أوعز إلى أحد طلابه أو أصحابه الذين معه يقول له: إذا رأيت هذه الحالة فاسألني عن مسألة علمية، ولو أنك تعرف جوابها من قبل، اسألني عن حكم مسألة مما يحتاج إليه من أحكام الصلاة أو الطواف أو مس المصحف أو الطهارة أو نحو ذلك، كي ينقلب الكلام من لغط وكلام لا فائدة فيه إلى بحث علمي ومناقشة، وهكذا جميع مجالسه ما كان يرغب أن يقوم المجلس دون فائدة.

الكتب التي تقرأ عليه:

وكانت الكتب التي يدرسها غالبًا في التفسير تفسيره وتفسير ابن كثير والجلالين، وفي الحديث إما بلوغ المرام وإما المنتقى، وفي الفقه إما الروض المربع شرح زاد المستقنع أو المنتهى أو قواعد ابن رجب، وربما قرؤوا عليه في بعض المطولات في الفقه، وفي أصول الفقه مختصر التحرير، وفي العقيدة: العقيدة الطحاوية والواسطية والسفارينية وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفي النحو الآجرومية وملحة الإعراب وقطر الندى والألفية وفي الفرائض: الرحبية.

طلاب الشيخ وتلامذته :

تلقى العلم على يد شيخنا طلبة كثيرون جدًّا فهو كما سبق أن ذكرنا منذ أن بلغ عشرين سنة وعرف زملاؤه فيه إدراك العلم وجودة الفهم تتلمذوا عليه، وصار في تلك السن يتعلم ويعلم حتى فتح الله عليه، وقد بلغ تلاميذه ما يقارب مائة وخمسين طالبًا ذكرهم الشيخ عبد الله البسام في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون[1]، وربما فاته أكثر منهم، منهم من تولى القضاء ومنهم من تولى الإفتاء ومنهم أئمة مساجد وخطباء، ومنهم من ترقى في العمل الحكومي حتى تبوؤوا مناصب رفيعة في الدولة، ومنهم رجال أعمال، وغير ذلك، رحم الله من مات منهم وبارك في الموجودين منهم وهم قلة .

مؤلفاته :

شرع رحمه الله في التأليف مبكرًا، وقد ألف في كثير من الفنون، وهذا دليل على سعة علمه وسيلان قلمه – رحمه الله –.

فمن أشهر مؤلفاته وأبرزها وأهمها تفسيره المشهور الذي سماه: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، فهو العالم الوحيد من علماء نجد الذي فسر القرآن كاملا، وهذا التفسير كان أصله دروسًا كان يلقيها الشيخ شفهيًا على الطلاب في مجلس المغرب، وهو مجلس كبير يعقده في سطح المسجد إذا كان في أيام الصيف أو في خلوة المسجد إذا كان في أيام الشتاء، فيقرأ عليه آيات من

---

(١) انظر كتاب «علماء نجد» (٣/ ٢٣٦ - ٢٤٤).

القرآن فيفسرها شفهيًّا ويستدل عليها ويوضحها ويفتح الله عليه بها حال الدرس بما شاء، وإذا انتهى من الدرس ورجع إلى بيته دوَّن ما تحصَّل له من تفسير هذه الآيات في دفاتر ومسودات حتى تكوَّن منها هذا التفسير بهذه الصفة، وقد رأيت بعض النسخ القديمة المخطوطة، رأيتها بخطه في دفاتر، وكل دفتر مذكور فيه تاريخ تصنيفه.

وقد طبع هذا التفسير قديمًا في خمس مجلدات، ثم أعيد طبعه مرارا في مجلَّدٍ واحد، وانتشر بين الناس وكتب الله له القبول .

ثم بدا لشيخنا - رحمه الله - أن يختصر التفسير في كتاب لطيف سماه: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، انتخب فيه من الآيات الجامعة للأحكام وتكلم عليها كلاما جيدا واستنبط منها فوائد كثيرة .

وله رحمه الله كتاب: الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي.

هذه العلوم العصرية التي استحدثت تكلم الشيخ رحمه الله عليها وذكر موافقتها للشريعة ومصداقيتها لما أخبر الله به في كتابه أو أخبر به رسوله ﷺ، مما قد يستبعد بعض الناس وقوعها لأن الرسل عليهم السلام جاءوا بمحارات العقول لا بمحالاتها، فهم لم يأتوا بشيء محال، لكن قد يحار عقل الإنسان نسبيًّا فيه ثم إذا وضح وفصل ظهر للجميع.

فمثلًا ورد في الحديث أن الجنة مساحتها واسعة، وأن كل واحد من أهل

الجنة له من المساكن والقصور والبساتين ما مساحته كذا وكذا، ثم ذكر أيضا أصحاب النار ـ والعياذ بالله ـ، ثم ذكر أن أصحاب الجنة ينادون أصحاب النار وبينهم هذه المسافات الشاسعة العظيمة، وأهل النار ينادون أصحاب الجنة، كيف يمكن في ذلك الوقت أن يتصور الإنسان أن هذا سوف يقع ؟!

فلما وقعت الأشياء المستحدثة، وشاهد الناس ذلك عيانا أن الإنسان يجتمع إلى من في شرق الدنيا وغربها في دقيقة واحدة بل في ثانية واحدة اطمأنت قلوبهم، وكلما حدث شيء من ذلك صار فيه اطمئنان وتصديق لما أخبر الله به في القرآن أو أخبر به النبي ﷺ.

وله أيضا كتاب: فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، وقصة يوسف قصة عظيمة ذكرها الله - تبارك وتعالى - وسماها أحسن القصص، استنبط الشيخ رحمه الله منها فوائد عظيمة جدًّا وجمعها في هذا الكتاب .

وكذلك ألف الشيخ كتابًا لطيفًا جمع فيه قواعد استنبطها من القرآن العظيم سماها: القواعد الحسان في تفسير القرآن، ذكر فيه سبعين قاعدة من القرآن لا يستغني عنها من له رغبة في تفهم معاني كتاب الله سبحانه وتعالى .

وله كتاب: المواهب الربانية من الآيات القرآنية، وهذا الكتاب عجيب ويدل على سعة علم الشيخ وتوقد ذهنه، كما يدل على حرصه على تقييد الفوائد مهما كانت وعدم إضاعة شيء منها.

وقصة هذا الكتاب كما ذكرها الشيخ في مقدمته: أنه كان إذا قرأ القرآن

تستوقفه بعض المعاني أو الأحكام أو الاستنباطات، ويخشى من فواتها، فرأى تقييدها حتى لا تفوت، فأثناء قرآءته لكتاب الله – سبحانه – في شهر رمضان في إحدى السنوات كتب هذه الفوائد وسماها بهذا الاسم، وهذا يدل على حرص الشيخ واستغلاله لكل فائدة، وكم فوَّت العالم وطالب العلم على نفسه فوائد كثيرة قد يسمعها أو قد تنقدح في ذهنه، ثم تفوت عليه إذا لم يقيدها في وقتها.

وله كتاب في الحديث سماه: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، جمع في هذا الكتاب تسعة وتسعين حديثًا من جوامع كلمه ﷺ وشرحها شرحًا واضحًا مفيدًا مختصرًا، ينبغي لطالب العلم أن يقتني هذا الكتاب، ويقرأه ويداوم على قراءته أكثر من مرة، لأنه حوى أحكامًا وأخلاقًا وآدابًا مستقاةً من كلام الصادق المصدوق ﷺ، بل هو أحسن مرجع وأقرب مادة لكل من أراد أن يخطب خطبة أو يلقي كلمة أو يكتب عن موضوع ديني.

وفي العقيدة ألف الشيخ عدة كتب منها: القول السديد في مقاصد التوحيد، وهو تعليق على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعبارات واضحة مفيدة ومختصرة، سهلت المعنى للطلاب.

وله شرح على نونية ابن القيم المعروفة بالكافية الشافية سماه: توضيح الكافية الشافية، وله كتاب آخر سماه: الحق الواضح المبين في شرح توحيد

الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية ، وكلا الكتابين مطبوع متداول .

وله كتاب: الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، والملحدون هم الذين ينكرون وجود الله - سبحانه وتعالى - وينكرون الرسالة ـ والعياذ بالله ـ وقد رد عليهم الشيخ في هذا الكتاب وأبطل حججهم .

وله أيضا كتاب: الدين الصحيح يحل جميع المشاكل، وقد رد - رحمه الله- في هذا الكتاب على ما يورده الملحدون وبعض المستشرقين من اعتراضات على الدين الإسلامي، مثل: اعتراضهم على تعدد الزوجات، واعتراضهم على أن ميراث المرأة على النصف من الرجل، وديتها كذلك، إلى غير ذلك من الأمور التي أجاب عنها في هذا الكتاب جوابًا شافيًا .

وله كتاب: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، والشيخ في هذا الكتاب جعل الإيمان مثل الشجرة التي تغذيها الأعمال الصالحة، كما أن الشجرة تتغذى بالماء .

وله كتاب: التنبيهات اللطيفة على العقيدة الواسطية، العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية شرحها الشيخ في هذا الكتاب شرحًا مختصرًا مفيدًا .

وله كتاب: سؤال وجواب في أهم المهمات، تحدث فيه عن أصول الدين وفروعه، على طريقة السؤال والجواب .

وله كتاب: الدرة البهية شرح القصيدة الحائية في حل المشكلة القدرية، وسبب تأليف هذا الكتاب أنه كان هناك رجل من أهل الذمة ـ مسيحي ـ في زمن

شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أورد أبياتًا فيها اعتراض على شرع الله وقضائه وقدره، فلما اطلع عليها شيخ الإسلام كتب عليها جوابًا نظمًا على وزنها ورويها، وأجاب عليها جوابًا جيدًا، لكنه أجمل فيه بعض العبارات التي لم يستطع إيضاحها في النظم، فاقترح بعض الناس على شيخنا ابن سعدي أن يشرح هذه المنظومة، فشرحها شرحًا موجزًا في هذا الكتاب ووضح كثيرًا من عباراتها .

ولما انتكس القصيمي، وهو عبدالله بن علي القصيمي المشهور، وأظهر كتابه: (هذه هي الأغلال)، واطلع عليها شيخنا بادر بالرد عليه بكتاب سماه: (تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله)، فقد زعم القصيمي أن الشريعة والتكاليف الإسلامية أغلال في أعناق الناس ينبغي أن يتحرروا منها فرد عليه الشيخ بردٍّ كاف شاف، كما قد رد عليه أيضا بعض العلماء مثل الشيخ إبراهيم السويح، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ عبد الله بن علي بن يابس وغيرهم.

ولقد اجتمعنا بالشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - العالم المحدث المصري لما زارنا في الرياض عام ١٣٦٧هـ وتباحثنا معه فقال لي: من أحسن الردود على القصيمي هو رد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي .

ومن مؤلفات شيخنا - رحمه الله - وهو من أحسن كتبه كتاب: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة والفنون المتنوعة الفاخرة، وهو كتاب عجيب، يتحدث في كل فصل منه عن حالة من حالات الناس وكيف ينبغي للمرء أن

يخاطب الناس على قدر عقولهم وقدر درجاتهم ومعارفهم .

ومن مؤلفاته كتاب: فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، وقد طبع أول مرة عام ١٤٢١هـ .

ومن كتبه: الجهاد في سبيل الله، بين فيه حكم الجهاد ومتى يجب .

ومنها أيضا كتاب: انتصار الحق، وكتاب: الدرة المختصرة في محاسن الإسلام، أوضح فيه أن الإسلام يحل جميع المشاكل .

وله - رحمه الله - منظومة شعرية في السير إلى الله - تبارك وتعالى-، فالشيخ كان يقول الشعر ويرويه ويستشهد به كثيرا.

ولشيخنا - رحمه الله - كتاب اسمه: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، وهذا الكتاب ألفه الشيخ لما سافر إلى لبنان إثر مرضه عام (١٣٧٣هـ) وعولج هناك في الجامعة الأمريكية، وكانوا يوزعون على المرضى - لا سيما طلبة العلم - كتابًا ألفه أمريكي اسمه دايل كارنجي عنوانه: دع القلق وابدأ الحياة، يقول الأخ محمد العبد الرحمن السعدي ابن الشيخ - وكان مرافقا لأبيه في سفره - أنه هو الذي اشترى هذا الكتاب من المكتبة وقام بإهدائه إلى والده الشيخ، ذكر ذلك لي في مجلس جمعنا به في مدينة الخبر، فقرأ الشيخ الكتاب وأتى به إلى عنيزة، ومدحه لي، فاستعرته منه أولًا فقرأته لما أثنى عليه، ثم اشتريته من مكة بعد ذلك، والكتاب موجود الآن في المكتبات يباع، ينبغي للإنسان أن يقرأه، والمقصود هنا أن شيخنا تأثر بالكتاب المذكور واستخلص منه رسالة صغيرة

سماها (الوسائل المفيدة للحياة السعيدة)، فهي مفيدة جدًّا ونافعة أنصح باقتنائها وقراءتها، وقد ترجمت إلى عدة لغات .

وسبق أن قدمنا أن الشيخ كان خطيبًا لجامع عنيزة وقد طبعت خطبه في ثلاثة كتب:

الأول سماه: الخطب المنبرية على المناسبات.

والثاني: الفواكه الشهية للخطب المنبرية.

والثالث: مجموع الخطب في المواضيع النافعة.

كان يتكلم في تلك الخطب فيما يهم الناس في موضوع وقتهم أو الحوادث التي حدثت في هذا الأسبوع أو في هذا الشهر من المناسبات فيتأملها ويستنبط منها ويستخرج مواعظ وعبر، وهكذا ينبغي لخطباء الجوامع.

وللشيخ كتاب اسمه: المختارات الجلية في الفقه، صدَّره بقوله: وبعد فقد تكرر السؤال من بعض الأصحاب على وضع كتاب في فقه أصحابنا الحنابلة، على وجه يتضح به ما نختاره ونصححه من المسائل الفقهية، فلم تمكني فرصة لأداء هذا المطلب، ورأيت أيضا أنه يصعب علي جمع كتاب يحتوي على جميع المسائل مثل الإقناع والمنتهى والمقنع وما تفرع عنها، مع قلة الحاجة إلى كتاب في هذا الموضوع إذ كتب الأصحاب كفيلة بهذا المطلب، لكن لما كان كثير من الطلبة في هذه الأوقات قد انفتح لهم باب الاستدلال، ورأوا لزوم ذلك وفائدته ومصلحته، وكان الغالب على مسائل هذه الكتب المذكورة - ولله

الحمد - موافقتها للراجح والصحيح، وأدلتها واضحة، ولكن قد يوجد في كثير من الأبواب بعض مسائل يكون الراجح غيرها، فكان من المصلحة المهمة جدًّا تقييدها، فلذلك أحببت تقييد ما تيسر منها، ورأيت شرح مختصر المقنع للشيخ منصور البهوتي أكثرها استعمالًا وأنفعها للطلبة في هذه الأوقات، فأحببت أن أجعل هذا التعليق كالاستدراك عليه، والتنبيه على ما ذكره خصوصًا، ليكون تنبيها على غيره من كتب الأصحاب عمومًا .أ.هـ

وللشيخ - رحمه الله - في الفقه غير هذا الكتاب كتاب لطيف اسمه منهج السالكين وهو كتاب مختصر في الفقه مفيد لطالب العلم المبتدئ لسهولة عباراته.

وله كذلك كتاب: الإرشاد إلى معرفة الأحكام وهو مؤلف على طريقة السؤال والجواب، فيه تسعة وتسعون سؤالًا وجوابها، من جوامع مسائل الفقه من أوله إلى آخره .

وله كتاب: الجمع بين الإنصاف ونظم ابن عبد القوي، وذلك أنه لما رأى الشيخ -رحمه الله - أهمية نظم ابن عبد القوي في الفقه، وأنه لم يقم أحد من المتقدمين بشرحه، رغب أن يتولى شرحه، فبدأ من أوله فشرح قليلًا، ثم من بداية كتاب الحج، ثم رأى أن الشرح سيطول عليه، فعمد إلى الإنصاف الذي هو شرح للمقنع، فصار يكتب الأبيات من النظم ثم ينقل من الإنصاف ما يتعلق بها فصار بمثابة الشرح للنظم المذكور .

وله أيضا رسالة في المناظرات الفقهية.

ورسالة في حكم التضحية بسبع البدنة وأن حكمها حكم الشاة في كل شيء حتى في التشريك فيها.

وله رسالة أيضا في حكم شرب الدخان.

وله رسالة في أصول الفقه .

ولشيخنا كتاب جامع سماه: طريق الوصول إلى العلم المأمول، وهذا الكتاب يحتوي على ألف قاعدة جمعها من كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، جعلها على هيئة مسائل، كل مسألة تحتوي قاعدة أو ضابطًا فقهيًّا، وهو مفيد جدًّا.

وله كذلك كتاب قريب من السابق وهو: القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، وهو كتاب مفيد لطلاب العلم خصوصًا المبتدئين منهم.

ولشيخنا منظومتان فقهيتان الأولى في الأحكام الفقهية، والظاهر أنه نظمها في أيام شبابه قبل أن يتجه إلى الأخذ بما قوي دليله.

والثانية: منظومة في القواعد الفقهية وشرحها .

وقد كان يصدر عن الشيخ بعض الفتاوى جوابًا لما يرده من الناس، وقد جمعت هذه الفتاوى، وسميت بالفتاوى السعدية .

ولشيخنا أيضا كتاب طبع مؤخرًا اسمه: مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، وهو عبارة عن فوائد كتبها الشيخ في عدة مواضيع، وقد حوى فوائد

نفيسة ومهمة .

وأخيرًا فإن لشيخنا رسالة عن يأجوج ومأجوج الذين ذكرهم الله في كتابه في موضعين، وذكرهم النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه بقوله: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها».

ويأجوج ومأجوج من ذرية يافث بن نوح عليه السلام وليسوا عالـمًا غيبيًّا كالملائكة والجن، وقد بنى ذو القرنين السدَّ ردمًا بينهم وبين الترك، الذين سموا بهذا الاسم لأنهم تُركوا دون السد، وهم كثرة كاثرة كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري «أن بعث النار من يأجوج ومأجوج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون»، وهذا يدل على كثرتهم وأنهم أضعاف بني آدم.

يقول شيخنا: إن الأرض الآن قد اكتشفت وما بقي فيها شيء يعد مجهولًا، إلا ما يتعلق بالقطب الشمالي والقطب الجنوبي، وهذا مكان لا يعيش عليه أحد غالبا، فيقول: إنه ظهر لي أن الذين خلف السد هم الصين واليابان وما حولها، فألف رسالة في ذلك. وهذه الرسالة ثار حولها كلام كثير حتى إن الملك عبد العزيز لما بلغه خبر الكتاب طلب حضور الشيخ عبد الرحمن إلى الرياض ومعه تفسيره، فلبى الشيخ الطلب، وجاء إلى الرياض، واستقبله المشايخ وحضر عند الملك - رحمه الله -، وكان الملك عبد العزيز حكيمًا عاقلًا وبعيد النظر أخلف ظن الناس، بل قال له: أنت يا شيخ أخونا، والمشايخ

إخوانك ما قالوا عنك شيئًا أبدًا، لكن يأجوج ومأجوج لا نحب أنك تظهر هذا القول لأنها فيها إشكال، وفيها كذا وكذا، فقال شيخنا: سمعًا وطاعة، وخروج يأجوج ومأجوج مذكور في القرآن والسنة، وما دام أن هذا رأيكم فسمعًا وطاعة، ثم لم يتكلم فيها الشيخ حتى توفي، ولم يرجع عما كتبه فيها أو يظهر خلاف كلامه السابق .

أما ما يُحكى بأنه قيل غير هذا الكلام فهذا غير صحيح، والشاهد على ذلك ما كتبه لي - رحمه الله - حيث كتب لي رسالة وضح فيها القصة توضيحًا كاملًا، وقال: أخشى أن يصلك الخبر على غير الحقيقة، ورسالته مذكورة في كتاب (الأجوبة النافعة) ص ٩٨ .

وقد طبعت رسالة الشيخ عن يأجوج ومأجوج أخيرًا بتحقيق أحد أبناء تلامذة الشيخ، وهو الدكتور أحمد بن عبد الرحمن القاضي بعد أن جمع نسخها الخطية وعلق عليها واستدل لها وذكر كلام العلماء فيها فجاءت طبعة منقحة، وهي تباع في المكتبات .

وقد كانت بيني وبين شيخنا مراسلات متعددة، كنت أسأله فيها عن بعض المسائل، فيجيبني بخط يده ويبعثها إلي في (أبو عريش)، وقد احتفظت بها ورتبتها، وطبعت في كتاب مستقل اسمه (الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة)، وقد اعتنى بها الشيخ الدكتور هيثم بن جواد الحداد وأخرجها إخراجا جيدا وعلق عليها، وطبعت في دار المعالي بعمان ودار ابن الجوزي عام

(١٤١٩هـ)، ثم نفدت نسخها ورغب الإخوان بإعادة طبعها فأعيد طبعها عام (١٤٢٠هـ)، وهي تحتوي على فوائد مهمة في العقيدة والحديث والفقه والتاريخ وغيرها، ويقع في (٤٢٢) صفحة .

وكذلك كان بين شيخنا وبين ثلاثة من طلبة العلم في الكويت مراسلات علمية، وهم الشيخ محمد بن عبد المحسن الدعيج، والشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري، والشيخ محمد بن سليمان الجراح، كتبوا له يسألونه عن أشياء فأجابهم بأجوبة علمية نافعة، وقد أحضرها لنا الدكتور وليد المنيس الأستاذ بجامعة الكويت، وقابلناها على خط شيخنا وصححناها وطبعت باسم: الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية، وطبعت بمركز البحوث والدراسات الكويتية في (٢٦٦) صفحة .

وكذلك كانت هناك مراسلات بين شيخنا وبين الشيخ محمد بن سليمان البصري، والشيخ عبد الرحمن المقوشي، وبعض الإخوان، يجيبهم الشيخ عليها بخط يده، وتجمع من تلك الرسائل مجموعة لا بأس بها، وقد أحضروها لنا وقابلناها على أصولها المعروفة لدينا بخط شيخنا المعروف، وقد تولى إخراجها الشيخ الدكتور هيثم بن جواد الحداد، وعمل بها مثل ما عمل بكتاب الأجوبة النافعة حتى إذا لم يبق منها إلا القليل انشغل عنها، فأكملها الدكتور وليد بن عبد الله المنيس حتى أكملها وأعدها للطبع وطبعت باسم الأجوبة السعدية على المسائل القصيمية، وطبعت بدار البشائر الإسلامية في (٢٢٠) صفحة.

ومن تأمل كتب شيخنا وجده دقيقًا في عباراته، مستوعبًا موضوعاته، خاليًا من الحشو والتطويل، مقتصرًا على الفوائد المتعلقة ببحثه، ولعل هذا ببركة عكوفه على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله -، وما امتازت به كتاباتهما من دقة وخلوها من الحشو، وقد يكون ذلك فتحًا من الله - تبارك وتعالى -، فالرجل صالح ونيته صالحة وقصده الأول والأخير نفع المسلمين بعيدًا عن الأنانية، فلهذا علم الله صدقه ففتح عليه بهذه الفتوحات المباركة .

أبنـــاؤه:

وللشيخ ثلاثة أبناء أكبرهم عبد الله وبه كان يكنى، ومحمد وأحمد، فأما عبد الله فكان له عناية بالعلم وكان يدرس معنا على والده، توفي في حادث سيارة بطريق القصيم، وله عدة أولاد، وابنه الثاني محمد موجود الآن في مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية، وأصغرهم أحمد توفي وله عدة أولاد .

ولقد أدبهم الشيخ وأحسن تربيتهم، ورأى ثمرة ذلك في حسن صنيعهم معه - رحمه الله -، فقد كانوا إذا قدموا إليه من المنطقة الشرقية في إجازتهم يسكنون عنده، ويكون لهم اجتماعات مع زملائهم من الشباب ويتزاورون فيما بينهم، لكن أبناء الشيخ ما يتجرءون على دعوتهم في بيت الشيخ، احترامًا له، لما قد يكون فيما بينهم من اللغط، فصار لهم بذلك نوع إحراج، فلما رأى الشيخ هذه الحالة اشترى بيتًا بجواره وأثثه بكل ما يلزم، وقال لهم: توسّعوا به أنتم وزملاؤكم واعزموهم

مثل ما يعزمونكم[1] ولا تحرجوا معهم وخذوا حريتكم في كل شيء.

مرضه ووفاته:

ولم يزل على هذه الحالة مرتاحًا في وطنه بين أهله وأولاده وطلابه، يرشد هذا ويفتي هذا، يساعدهم بماله وجاهه، وينشر علمه ويدلي برأيه ومشورته، وقد أعطاه الله محبة في القلوب وثقة في النفوس فأجمعت البلاد على حبه وصار له زعامة شعبية، فإشارته نافذة وأمره مطاع، وكلمته مسموعة، فهو مدرس الطلاب وواعظ العامة ومفتي البلد، وكاتب الوثائق ومحرر الأوقاف والوصايا وعاقد الأنكحة ومستشارهم في كل ما يهمهم.

حتى قدر الله عليه وأصيب بمرض ضغط الدم وتصلب الشرايين، ولما زاد عليه اضطر للسفر إلى لبنان عام (١٣٧٣هـ) فعالجه الأطباء ونصحوه بالراحة وقلة التفكير وعدم إجهاد نفسه، فعاد إلى بلده معافى، لكنه لم يصبر فعاد إلى ما كان عليه من التعليم والتأليف والبحث والمراجعة، فعاد المرض إليه أشد مما كان.

وفي ليلة الأربعاء الموافق: ٢٢/ ٦/ ١٣٧٦هـ بعد أن صلى بالناس صلاة العشاء أصيب بإغماء لم يفق منه إلا فترة بسيطة، طمأن فيها الحاضرين من أهله، وهون عليهم الأمر، ثم عاد إليه الإغماء، فطُلب له الأطباء من الرياض بالطائرة، ولرداءة الجو لم تتمكن الطائرة من الهبوط في مطار عنيزة، وكان قد

(١) أي ادعوهم مثل ما يدعونكم، ولعلها مأخوذة من قولك: عزمت على فلان أي أقسمت عليه.

سبق القدر ففاضت روحه الطاهرة سحر ليلة الخميس الثالث والعشرين من جمادى الثانية عام ألف وثلاثمائة وستة وسبعين للهجرة النبوية وصلي عليه بعد صلاة الظهر في الجامع الكبير في عنيزة، ودفن في مقبرة الشهوانية شمالي عنيزة.

والحقيقة أن عنيزة منذ تأسست لم تصب بمصيبة عامة مثل مصيبتها به، وظهر ذلك في البكاء والحزن الشديد من كل المواطنين، كما ظهر في الازدحام الشديد على جنازته، التي لم يبق كبير ولا صغير غالبًا لم يشهدها، وبموته فقدت البلدة أعز وأغلى شخص يعيش فيها، وأحس الناس بفراغ واسع بفقده، وحتى الآن وذكره في الألسن ومحبته في القلوب، وأحاديثه وإرشاداته وفتاويه هي حديث المجالس وأنس المحافل، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وقد رثاه كثير من العلماء والأدباء في الصحف والمجلات نظمًا ونثرًا، فرحمه الله وجمعنا به في الفردوس الأعلى من جنات النعيم، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

❋ ❋ ❋

ترجمة المحاضر لنفسه

سؤال: فضيلة الشيخ: إننا نحبك في الله ونُشهد الله على ذلك، ولو حدثتنا عن بداية توليك القضاء والإفتاء متى كان ؟

الجواب: كنت من طلبة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي من سنة تسع وأربعين إلى سنة ثلاث وخمسين (١٣٤٩ـ١٣٥٣هـ).

وفي آخر سنة ثلاث وخمسين أوعز الملك عبد العزيز - رحمه الله - إلى شيخنا شيخ مشايخ القصيم الشيخ عمر بن سليم - رحمه الله - بأن ينتخب بضعة عشر من طلبة العلم، لبعثهم إلى منطقة جازان منهم قضاة ومنهم أئمة وخطباء ومرشدون ودعاة، فانتخب الشيخ عمر بن سليم جماعة منهم عمنا الشيخ عبد الرحمن بن عقيل - رحمه الله -، ومنهم أنا، ومنهم جماعة من الإخوان في بريدة وفي البكيرية وفي الرس وفي المذنب.

وسافرنا مع الشيخ عمر بن سليم في السيارات، وكان الناس إذ ذاك يحجون على الإبل.

وحججنا معه سنة ثلاث وخمسين (١٣٥٣هـ) في السيارات وعمري إذ ذاك تسعة عشر سنة تقريبا، وهي السنة التي حصل فيها الاعتداء على الملك

عبد العزيز وابنه سعود ولي العهد لما خرج عليهما اليماني من الحجر، مشهرًا عليهما السكين، وهما يطوفان طواف الإفاضة في ١٠/ ١٢/ ١٣٥٣هـ، فكفى الله شره.

ثم سافرنا مع المشايخ إلى جازان، وعينت مع عمي في قضاء جيزان مساعدًا له، لم أتول القضاء في تلك المرة.

وبعد ثلاث سنوات رجعت إلى عنيزة، ولازمت شيخنا ابن سعدي لطلب العلم.

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف أبرق الملك عبد العزيز إلى أمير عنيزة يأمر بحضوري إلى الرياض، فسافرت إلى الرياض امتثالًا لأمر الملك عبد العزيز - رحمه الله-، وصادفنا في الطريق شيخنا الشيخ عمر بن سليم - رحمه الله - قادمًا من الرياض إلى بريدة، وسألت الشيخ عمر بن سليم عن سبب استدعائي من قبل الملك عبدالعزيز، فقال: إن عمك الشيخ عبد الرحمن بن عقيل قاضي جازان أكثر الإلحاح على الملك عبد العزيز بطلب الإقالة، فألزمني الملك عبد العزيز أن أرشح أحدًا مكانه، فذكرت له بأنك تكون بدله، فتأثرت كثيرًا وقلت: يا شيخ أنا لا أستطيع العمل في القضاء لصغر سني وضعف معلوماتي، وحاولت أن يتغير رأي الشيخ وأن يكتب لي

بذلك إلى الملك، فلم يوافق.

فقلت: أجل، إذا كان ولا بد فلعل الشيخ محمد التويجري قاضي أبي عريش ينقل من أبي عريش إلى جازان، وأنا أكون في أبي عريش بدله، لأن أباعريش أخف عملًا، فاستحسن ذلك الشيخ عمر - رحمه الله - وكتب بذلك كتابًا إلى الملك.

فانطلقنا للرياض وسلمنا على الملك عبد العزيز، وسلمناه كتاب الشيخ عمر فاعتمده وكتب به إلى ابنه فيصل، وفعلًا سافرنا إلى أبي عريش ومكثنا فيه إلى عام (١٣٦٤هـ)، ثم أخذت إجازة وسافرت إلى عنيزة، ومكثت فيها إلى رجب (١٣٦٥هـ).

وفي رجوعي من عنيزة إلى الرياض في رجب عام (١٣٦٥هـ) صادف أن الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - عهد إليه الملك عبد العزيز بتصحيح كتب مخطوطة منها: كتاب الإنصاف، وكتاب المبدع وكتب أخرى، لأجل طبعها ونشرها، فأحضرت الكتب بنسخها الخطية عند الشيخ محمد بن إبراهيم وعهد إلى الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - رحمه الله - أن يلتمس من الإخوان من يمسك الكتب لمقابلة بعضها ببعض برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم، فحضرت معهم عند الشيخ محمد، وصرنا نمسك

الكتاب ونقابله بالمخطوطة، مرة أقرأ أنا ومرة يقرأ غيري، وإذا أشكل علينا شيء نتأمله ونبدي ما عندنا فعرفني الشيخ عند ذلك.

وصادف في تلك الفترة أن الشيخ سالم الحناكي - رحمه الله - قد أقيل من قضاء الخرج، وهم يلتمسون قاضيًا بدله، فأرسل لي إبراهيم الشايقي وقال: تحضر غدًا في جلسة الملك عبد العزيز، فحضرت تلك الجلسة، فقال لي الملك: أريدك قاضيًا في الخرج عند قصري في السيح، فقلت له: أنا ما بلغت إلى درجة القضاء فاسمحوا لي أدرس عند الشيخ محمد بن إبراهيم، فإذا تمكنت فأنا بالسمع والطاعة، فأصغى إلي الملك وقال: محمد بن إبراهيم هذا تراه ولد لي وأخ لي، ولا تخرج عن رأيه وأنت فيك بركة إن شاء الله، ولا يهمونك (وضرب صدره مرتين أو ثلاثا) وقال: أصلح النية أصلح النية، وقال: اقرأ في كتاب .... كتاب .... كتاب .... فعرفت ما يقصد فقلت كتاب الآداب الشرعية، فقال: الآداب الشرعية، وقال للشايقي: سنعوا الشيخ، فلما كررت عذري عند الشايقي قال: إن الشيخ محمد هو الذي رشحك، فتعجبت وقلت: أنا كنت أجلس عنده ولم يقل لي شيئًا.

فلما رجعت إلى الشيخ محمد واعتذرت منه وطلبت منه أن يعتذر لي فلم يقبل، فقال: فيك بركة وقد تولى القضاء من هم أقل منك فقلت: أجل

إذا كان ولا بد فلا أستطيع إلا إذا كنت مرجعي فيما يشكل علي وتلتزم لي بذلك، فالتزم لي بذلك، فلم أجد بدًّا من امتثال الأمر والذهاب إلى الخرج، فجلست في قضاء الخرج قرابة السنة.

ثم نقلت إلى قضاء الرياض، وبقيت في محكمة الرياض خمس سنوات من سنة ست وستين إلى سنة سبعين (١٣٦٦ـ ١٣٧٠هـ).

وبعد ذلك أقيل الشيخ عبد الرحمن بن عودان من قضاء عنيزة، وكان أمراء عنيزة لهم قيمة وكلمة عند الملك عبدالعزيز - رحمه الله - فأبرق لهم قائلًا: من طرف ابن عودان نقلناه عنكم، وأنتم تخيَّروا بين ثلاثة: الشيخ ابن سعدي أو الشيخ سليمان بن عبيد أو عبد الله بن عقيل، وأنا إذ ذاك قاض في الرياض.

فجمع أمير عنيزة رؤساء الجماعة وتشاوروا وقالوا ابن سعدي أكبر من ذلك ولا نريده يتولى القضاء، ودار الأمر بين الشيخ ابن عبيد وبيني، فاختاروني لذلك، فلما بلغني ذلك تأثرت كثيرًا، وحاولت التخلص مع الشيخ محمد بن إبراهيم ومع ولي العهد ومع الشايقي فقالوا: ما نستطيع أن نقف في أمر مضى به الملك عبد العزيز، فلا بد أن تمتثل، فامتثلنا وذهبنا إلى عنيزة وجلسنا في عنيزة خمس سنين من سنة ١٣٧٠ إلى سنة ١٣٧٥هـ.

فلما فتحت دار الإفتاء وكان الشيخ محمد بن إبراهيم يلتمس لها أعضاء فكتب لي كتابًا برقم(٩٥٦) وتاريخ ١٢/ ٨/ ١٣٧٥هـ بأننا طلبنا من الملك سعود تعيينك عندنا عضوًا في دار الإفتاء وقد أجابنا على ذلك فأحببنا إخبارك حتى تستعد لذلك.

وبعد ذلك جاءتني برقية من الملك سعود برقم (٢٥٩٤٧) وتاريخ ١٤/ ٨/ ١٣٧٥هـ تقول: عيناك عضوًا في دار الإفتاء فأنتم أنهوا أعمالكم في عنيزة وتوجهوا إلى الرياض.

ثم بعد ذلك جاءتني برقية ثانية من الملك سعود ـ مستعجل جدًّا ـ بتاريخ ٢٩/ ٨/ ١٣٧٥هـ تقول: تصلكم الطائرة توجهون بها أنتم وعائلتكم إلى الرياض.

فسافرنا من عنيزة إلى الرياض أول يوم من رمضان سنة ألف وثلاثمائة وخمسة وسبعين (١٣٧٥هـ)، وبقيت مع الشيخ محمد بن إبراهيم في دار الإفتاء من سنة خمس وسبعين إلى أن توفي في شهر رمضان سنة تسع وثمانين (١٣٨٩هـ) .

وبعد وفاته كان يوجد في مكتبه في دار الإفتاء وفي رئاسة القضاة معاملات كبيرة فيها مشاكل بين القضاة وهيئة التمييز وبين بعض رؤساء

القبائل وبعض المعاملات من الديوان الملكي، فأمر الملك فيصل بتشكيل لجنة من خمسة من القضاة يرأسهم أكبرهم سنًّا يتولون هذه المعاملات وينهونها، وهم الشيخ راشد بن خنين والشيخ محمد بن عودة والشيخ عبد الله بن منيع والشيخ عمر المترك - رحمه الله - وعبد الله بن عقيل، فاجتمعنا في مبنى رئاسة القضاة في الشميسي ورشحوني لرئاسة اللجنة، وبدأنا العمل في النظر في تلك المعاملات حتى انتهت.

وبعد ذلك أمر الملك فيصل بتعييني عضوًا في هيئة التمييز مع الشيخ عبد العزيز بن رشيد والشيخ محمد بن سليم والشيخ محمد بن جبير رحمهم الله.

ولما تكونت الهيئة القضائية العليا انتقلت إليها عضوًا ورئيسنا الشيخ محمد بن جبير.

ثم لما تقرر إيجاد مجلس القضاء الأعلى برئاسة الشيخ محمد بن حركان والهيئة الدائمة برئاسة الشيخ محمد بن جبير - رحمهما الله- عينوني عضوًا فيه.

وبعد نقل الشيخ محمد بن حركان من مجلس القضاء الأعلى إلى رابطة العالم الإسلامي وتولي شيخنا الشيخ عبد الله بن حميد رئاسة مجلس القضاء

الأعلى أمر الملك فهد - رحمه الله - بتعييني رئيسًا للهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى برقم (٧٦٩/ ١) وتاريخ ١٢/ ٥/ ١٣٩٩هـ، فبقيت في هذا المنصب ونائبًا عن سماحة الشيخ عبد الله بن حميد في رئاسة المجلس إلى حين وفاته - رحمه الله -.

فلما بلغت السن النظامية سبعين سنة أحالوني على التقاعد في سنة (١٤٠٥هـ) ثم مدَّدوا لي سنة، فلما انتهت تركت العمل الرسمي ونسأل الله حسن الخاتمة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبيه المصطفى. الحمد لله الباقي [illegible]

[illegible] الحمد لله على قضائه وقدره [illegible] سبحان

[illegible] سبحان [illegible]

[illegible]

الدنيا [illegible] سبحان من [illegible] الدار [illegible]

ولم يجعلها دار بقاء [illegible] جعلها دار ممر ولم يجعلها دار مستقر

[illegible] الأعمال الصالحة [illegible]

[illegible] سبحان من جعل الموت غاية كل مخلوق

[illegible]

[illegible]

[illegible] من الأنبياء والمرسلين

قال تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد [illegible]

[illegible]

[illegible] وبشر الصابرين [illegible] عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون

[illegible]

[illegible] إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي

[illegible] أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها

هذا وإن [illegible] العظيم [illegible] بانتقال إلى رحمة الله التي

وسعت كل شيء [illegible] جميع العالمين [illegible] الخلق أجمعين

[illegible] الكريمة وصفاته الجليلة [illegible] بنفسه [illegible]

[illegible] القريب والبعيد [illegible] في حياته

من الأعمال الصالحة [illegible] الجليلة والآثار الخالدة [illegible]

العلم [illegible] كانت حياته [illegible] بالبركات

[illegible] المنافع والخيرات [illegible]

وكانت له [illegible] والشفقة على جميع المسلمين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والرحمة والكرم والرضوان [illegible]

[illegible] جميع المسلمين [illegible]

[illegible]

[illegible] المسلمين

[illegible] بين ظهرانيهم وهم مستمسكين بالعروة الوثقى لاسيما الملك المعظم

وولي عهده والخليفة بعده حفظه الله ورعاه [illegible]

[illegible]

لما يحبه الله ويرضاه وأصلح الله أحوال المسلمين والقائمين عليهم

[illegible]

[illegible] والشكر لله [illegible]

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم يوم الثلاثاء صباحاً [illegible]

الفهرس